

المحاضرة الحادية عشر

أسرة أنجيلوس والاحتلال اللاتيني للقسطنطينية

العناصر التي تتكون منها المحاضرة:

- اسحق الثاني أنجيلوس يتولى الحكم ويكون أسرة أنجيلوس (1185-1195م)
- الكسيوس الثالث أنجيلوس (1195-1203م)
- عودة اسحق الثاني وابنه الكسيوس الرابع (1203م) بصحبة الحملة الصليبية الرابعة
- الكسيوس الخامس (1204م)
- استيلاء الصليبيين على القسطنطينية وتكوين الإمبراطورية اللاتينية
- إمبراطوريات المنفى حتى استعادة القسطنطينية 1261م

عاشت الإمبراطورية البيزنطية بعد مانويل الأول كومنين حالة من الفوضى، فلم يفلح الكسيوس الثاني في إدارتها، بينما انشغل آخر الأباطرة أندرونيكوس كومنين بتوطيد أركان عرشه، والتخلص من كل من يتصل بصلة القرابة لبيت كومنين، في ذلك الوقت استغل اسحق الثاني أنجيلوس فرصة الاضطرابات الداخلية، وغياب الإمبراطور خارج القسطنطينية، وثار على حكم أندرونيكوس ودخل كنيسة آيا صوفيا في حشد من المواطنين وأخذ يخطب في الحضور معددا مساويء حكم أندرونيكوس، فتحمس المواطنون ونادوا باسحق إمبراطور، وقام البطريرك بنتويجه لتتكون أسرة جديدة هي أسرة أنجيلوس، وكان أندرونيكوس غائبا عن القسطنطينية ولم يعلم بتلك التفاصيل إلا حين وصوله، فدخل القسطنطينية أثناء الإحتفال بتتصيب إسحق أنجيلوس، فلما وجد الوضع كذلك حاول الفرار، إلا أن القوات الإمبراطورية تعقبته وتمكنت من القبض عليه، وتعامل أندرونيكوس معاملة سيئة بعد القبض عليه، ورجم حتى الموت.

وتحت حكم أسرة أنجيلوس، حلت بالدولة كوارث متعددة، إذ تدهورت أحوال الإمبراطورية الداخلية، وبلغ النظام الإداري والمالي درجة كبيرة من الإنهيار، فقد ولى اسحق الثاني أقاربه المناصب العليا في الإمبراطورية، حتى أنه ولى المقربين إليه أكثر من منصب، فجمع بعضهم بين الوظائف المدنية والعسكرية، غير أن هؤلاء الأشخاص الذين منحهم ثقته وسمح بزيادة نفوذهم، لم يحسنوا استخدام السلطة التي منحها لهم الإمبراطور، فزادت أحوال الإمبراطورية تدهورا.

أما عن اسحق نفسه، فكان يبدو شديد الحرص على النهوض بطبقات المجتمع الفقيرة، فيذكر المؤرخون أنه بمجرد توليه منصب الإمبراطور، أمر بتحويل منزله القديم لفندق للمسافرين ودوابهم، يقدم لهم الطعام ويستضيفهم للراحة من السفر الطويل، كما أمر بتحويل القصور التي شيدها سلفه أندرونيكوس إلى مستشفيات ودور لرعاية الأيتام والعجزة، وكان من الأباطرة الذين أهتموا بالفقراء من الشباب، فأقام مؤسسة تحت إشرافه المباشر لمساعدة الشباب على تكاليف الزواج، وتطلبت مشروعاته الإنسانية أموال كثيرة، بينما كانت خزانة الإمبراطورية خاوية منذ نهاية عهد مانويل كومنين، ولذلك كانت الوسيلة لدعم

الخزانة هي فرض مزيد من الضرائب على المواطنين، في حين أن أجزاء كبيرة من الإمبراطورية استقلت عنها بسبب الحركات الانفصالية، ولم تتمكن الإمبراطورية من تعويض الدخل الذي كانت تدره هذه الأقاليم، فالنفقات في زيادة مستمرة، ولم يستطع تحقيق التوازن بين النفقات والمصروفات.

ورغم الزيادة في الضرائب، لم يفكر اسحق أنجيلوس في توجيه جزء من أموال الضرائب لإصلاح أحوال الجيش أو تجديد أسلحة الجنود، في حين أن الظروف الخارجية المحيطة بالإمبراطورية كانت تتطلب وجود جيش قوي يساعدها على التصدي للحركات الانفصالية، وللهجمات التي تشنها بعض القبائل على حدود الإمبراطورية، في نفس الوقت كانت الإضطرابات الداخلية قوية حتى لم تتمكن الإمبراطورية من إستعادة الهدوء والإستقرار من جديد، فسارت أحوال الإمبراطورية من سيء لأسوأ، ومع بداية عهده واجه اسحق العديد من الثورات التي تستهدف عرشه، سواء من قادة الجيش أو من بقايا اسرة كومنين الذين لم يتوقفوا عن السعي لإستعادة العرش، وبدأت الحركات الانفصالية تقطع جزء تلو الآخر من أملاك الإمبراطورية، حتى أصبحت الحركات الانفصالية سمة تميز فترة حكم اسحق الثاني أنجيلوس؛ فاستقل أحد القادة ويدعى اسحق كومنين بجزيرة قبرص، وحرّم الإمبراطورية من مورد كبير من مواردها الإقتصادية، فأرسل له اسحق حملة تأديبية، إلا أنه وجد الدعم الخارجي وتمكن من الإستقلال بالجزيرة، كما قام قائد آخر ويدعى ألكسيوس براناس بحركة تمرد واسعة، سببت اضطراب داخلي بالإمبراطورية.

أما بالنسبة للعلاقات الخارجية للإمبراطورية، فقد أصابها التدهور، فتوترت العلاقات بين اسحق أنجيلوس ووليم الثاني في صقلية، إذ حاول النورمان التوسع على حساب الإمبراطورية، مما أدى للمصادمات بين الطرفين، أما الأرمن فقد اتخذوا سياسة عدائية تجاه الإمبراطورية البيزنطية، ولم يكن بوسع اسحق ارسال حملة تأديبية لهم بسبب حروبه مع قبائل الولاش والبلغار الذين اتحدوا ووجدوا الدعم الخارجي، إذ قامت حركة **الوالاش** وانضم اليهم **البلغار والكيومان**، واستمرت الحروب عدة سنوات حتى استطاعت هذه القبائل في النهاية من الاستقلال والانفصال عن الإمبراطورية.

واستمر اسحق أنجيلوس في سياسة سلفه للحد من نفوذ وامتيازات الجاليات الأجنبية في القسطنطينية، فوقع العداء بين الإمبراطورية وجميع الأجانب، وكان أشدهم عداء هو **الجالية البندقية**، وكان لهذا العداء بين البندقية والإمبراطورية أحد الأسباب التي أدت للإحتلال الصليبي للقسطنطينية في الحملة الصليبية الرابعة.

وأمام هذه الأخطار التي تحيط بالإمبراطورية، كان اسحق أنجيلوس في حاجة لحليف قوي، فلجأ لمحالفة **صلاح الدين الأيوبي**، فمع بداية حكم اسحق أنجيلوس كان صلاح الدين قد أقر الأحوال في الشرق وبدأ

يستعد للمواجهات مع الصليبيين، وسرعان ما حقق انتصار كبير عليهم في حطين يوليو 1187م وتقدم فاسترد بعض مدن الشام وتوج انتصاره باسترداد بيت المقدس، وكانت الإمبراطورية البيزنطية بعيدة عن أحداث حطين، ولم تشارك الصليبيين حروبهم معه أو تمد لهم يد العون، إذ فضل اسحق انجيلوس أن يعقد معاهدة سلام مع صلاح الدين، الذي وعد باعادة دور العبادة المسيحية في بلاد الشام للشعائر الأورثوذكسية، تحت اشراف كنيسة القسطنطينية، كما سمح اسحق باقامة شعائر الصلاة في مسجد القسطنطينية، والدعوة للخليفة العباسي في صلاة الجمعة، واستغل اسحق حالة الوفاق مع المسلمين، واتجه لإقرار الأحوال الداخلية، وتمكن من التصدي للنورمان، وبدأ يشن هجمات على البلغار والوالاش، ويحاول استعادة ما استولوا عليه من أراضي الإمبراطورية.

وسرعان ما استجاب الغرب الأوروبي لنداء الحملة الصليبية الثالثة الذي تبع معركة حطين، وكان للإمبراطورية البيزنطية دور في هذه الحملة، إذ مرت الجيوش الألمانية بقيادة **الإمبراطور فريديك بربروسا** بأراضي الإمبراطورية، وساءت العلاقات بين الإمبراطورين البيزنطي والألماني بسبب الفوضى التي أحدثها الجنود الألمان في الإمبراطورية، إلا أن اسحق تدرارك الأمر، ولم يدع الأمور تصل لحد التصادم بين القوات، فالتقى فريديك وانتهى اللقاء بتسوية الأمور، ووعد اسحق بالمساهمة في تمويل الحملة وامدادها بالمؤن اللازمة، وأمر بنقل الجنود الألمان للصفة الأخرى من البوسفور على سفن الإمبراطورية، إلا أن الحملة الألمانية تعرضت لبعض العراقيل، فدخلوا في حرب مع السلاجقة، ثم تعرضت الحملة الألمانية لكارثة موت الإمبراطور فريديك غريقاً في نهر السالف، وحمل الغرب الأوروبي الإمبراطور اسحق مسؤولية فشل الحملة الصليبية، واتهمه الصليبيون بخيانة القضية الصليبية.

وتولى عرش الإمبراطورية الألمانية **هنري السادس**، وكان والده قد أرسل له من الشرق رسالة بضرورة حث البابوية على اعداد حملة لتأديب الإمبراطورية البيزنطية، متهما الإمبراطور البيزنطي بعرقلة مسيرته نحو الأراضي المقدسة عن طريق عقد هدنة مع السلاجقة وتحريضهم على مهاجمة القوات الألمانية أثناء عبورها الأراضي السلجوقية، وكذلك اتهمه بالتحالف مع صلاح الدين ضد الصليبيين.

لذلك أرسل هنري السادس ملك ألمانيا وابن فريديك بربروسا سفارة للإمبراطور البيزنطي أوائل عام 1195م، يخبره بعزمه على القيام بحملة صليبية لاستكمال ما بدأه والده، واعادة مملكة بيت المقدس الصليبية، وأنه قرر اتخاذ الطريق البري الذي سبق واتخذته الحملات الألمانية، وعلى الإمبراطورية البيزنطية الاستعداد لاستقبال القوات الألمانية النورمانية المشتركة، وتوفير كل المؤن والزاد، وطالب بالاضافة لذلك، بتعويض مادي كبير عما اعتبره اساءة وجهتها الإمبراطورية البيزنطية للحملات الألمانية، حملة كونراد الثالث (الحملة الصليبية الثانية) ثم حملة فريديك بربروسا (الحملة الصليبية

الثالثة)، وبعد مداولات ومراسلات كثيرة بين الامبراطور البيزنطي والملك الألماني، تمكن السفراء من الوصول لمعاهدة وتسوية الأمر بين الإمبراطورين، وانتهت المفاوضات باتفاق على زواج ايرين ابنة اسحق انجيلوس من **فيليب السوابي** شقيق هنري السادس، وبذلك عدل هنري عن حملته ضد الإمبراطورية البيزنطية.

وكان اسحق قد فوض شقيقه ألكسيوس في كثير من الأمور العامة في الإمبراطورية، غير أن ألكسيوس كان يلمس عجز أخيه عن ادارة الأمور، ووجده غير جدير بتولي المنصب الإمبراطوري، لذلك فكر في عزل أخيه، وقد تهيأت الفرصة حين اشتدت الأخطار الخارجية على الإمبراطورية، وانفصلت الولايات، وخرج اسحق في أبريل 1195م لمحاربة قبائل الوالاش، فأرسل شقيقه قوة من الجند للقبض على الإمبراطور، وسلموا عينيه، وانتقل العرش لألكسيوس في هدوء، فتولى الحكم تحت اسم **ألكسيوس**

الثالث (1195-1203م)

وخشي ألكسيوس الثالث أن يتمرد عليه ابن شقيقه الذي يدعى ألكسيوس كذلك، ويحاول استرداد عرش والده، ولذلك وضعه تحت حراسة دائمة، ومن جهة أخرى تأمر بقايا بيت كومنين لإسترداد عرش الإمبراطورية، وزادت أحوال الإمبراطورية تدهورا، فاستمرت الحروب مع قبائل الوالاش.

في ذلك الوقت وصلت الكسيوس الثالث أخبار تفيد قيام الإمبراطور الألماني هنري السادس باعداد حملة والتوجه للإمبراطورية البيزنطية لإعادة صهره اسحق انجيلوس للعرش، ولم يكن ألكسيوس مستعدا للقاء الجيش الألماني، وجيوش الإمبراطورية غير مهيأة لخوض الحرب، ولذلك قرر ألكسيوس أن يرأسل هنري السادس ويعرض عليه تقديم تعويض مادي كبير للإمبراطورية الألمانية عن فشل الحملات الصليبية الألمانية في الشرق، الحملة الصليبية الثانية بقيادة كونراد الثالث، والحملة الصليبية الثالثة بقيادة فريدريك بربروسا، ولذلك فرض الكسيوس على البيزنطيين ضريبة أطلق عليها الألمان كون، نسبة للألمان، وكان البيزنطيون مثقلون بالضرائب، فزادت هذه الضريبة من سخطهم عليه، ولم يتمكن الكسيوس من جمع المبلغ المطلوب رغم جمع الضريبة، فاضطر للقيام بعمل جر عليه سخط المواطنين، إذ فتح قبور الأباطرة بداية من قسطنطين، وأخرج ما بها من جواهر لسد العجز في الخزانة الإمبراطورية، كما حاول تعويض العلاقات الخارجية المضطربة، فدخل في علاقات طيبة مع بابوية روما حتى يستعين بالبابا على وقف حرب هنري السادس على الإمبراطورية، غير أن هنري السادس مات أثناء الإستعداد للخروج، فشعر البيزنطيون بالإرتياح.

بعد فشل الحملة الثالثة في تحقيق الغرض الذي خرجت من أجله، نشط الغرب الأوروبي للدعوة لحملة صليبية جديدة لاستعادة مملكة بيت المقدس الصليبية، فدعى البابا أنوسنت الثالث للحملة الصليبية الرابعة،

وتم التجهيز للحملة وتجمعت الجيوش الصليبية من كل أنحاء الغرب الأوربي في البندقية، فقد كانت البندقية هي المسؤولة عن نقل الصليبيين للشرق مقابل خمس وثمانون ألف مارك، وظلت الجيوش الصليبية في البندقية التي رفضت نقلهم إلا بعد دفع المبلغ المتفق عليه.

وتناقش الصليبيون في الجهة التي يجب أن تخرج لها الحملة الصليبية، فرأى البعض أن تتجه الحملة لعكا، ومنها يتجهوا لبيت المقدس، بينما رأى فريق آخر أن الحملة يجب أن تتجه لمصر أولاً، وكان هذا الرأي يرى أن مصر هي مركز المقاومة ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام، وأن السيطرة على مصر يسهل لهم السيطرة على بيت المقدس، واتفق رأي الصليبيين على ذلك، غير أنهم لم يتمكنوا من الإبحار بسبب اصرار البندقية على الحصول على المبلغ المتفق عليه أولاً.

في ذلك الوقت تمكن ألكسيوس ابن اسحق انجيلوس من الإتصال ببعض التجار البيازنة، الذين ساعدوه في الهرب من القسطنطينية متخفياً في زي تاجر، ووصل ألكسيوس عند شقيقته وزوجها فيليب إمبراطور ألمانيا، وطلب من فيليب مساعدته في استعادة عرش والده، فعرض فيليب الأمر على قادة الحملة الصليبية، الذين رحبوا بمساعدة ألكسيوس الابن في إعادة والده للعرش، مقابل تعهده بتمويل الحملة الصليبية بالكامل، حتى خروجها لمصر ثم لبيت المقدس، كما وعد بوضع كنيسة القسطنطينية تحت إشراف بابوية روما، وبالفعل توجهت الحملة للقسطنطينية وتمكنت من إعادة اسحق الثاني انجيلوس للعرش ومعه ابنه ألكسيوس الذي عرف بألكسيوس الرابع، غير أن هذا الأخير لم يستطع الوفاء بوعوده للصليبيين، فلم يتمكن من توفير المبالغ المطلوبة، ووجد معارضة شديدة من رجال الدين حول مسألة وضع كنيسة القسطنطينية تحت إشراف بابوية روما، فقامت ثورة أطاحت به وبوالده، وتم تولية ألكسيوس الخامس عرش الإمبراطورية.

في ذلك الوقت، كان الصليبيون مجتمعون خارج القسطنطينية في انتظار وفاء الإمبراطورية البيزنطية بوعودها بتمويل الحملة، وبعد ازاحة حليفهم ألكسيوس الرابع ووالده عن عرش الإمبراطورية، لم يعد ممكناً تحقيق تلك الوعود، وقد زاد طمع الصليبيين في القسطنطينية بعدما شاهدوا من جمالها واثرائها وروعة تنظيمها، فعقدوا اجتماعاً مع البنادقة، انتهى بمعاهدة بين الطرفين (الصليبيين والبنادقة) للاستيلاء على القسطنطينية، وتقاسمها فيما بينهم، على أن يكون الإمبراطور من الصليبيين، والبطريرك من البنادقة، واتفقوا أن يؤول ربع القسطنطينية ملكية شخصية للإمبراطور الذي يقع عليه الاختيار، وثلاثة الأرباع تقسم مناصفة بين الصليبيين والبنادقة كإقطاع من الإمبراطور طبقاً لقانون الإقطاع في الغرب الأوروبي، وفي أبريل 1204م، هاجم الصليبيون أهالي القسطنطينية، وفر الإمبراطور ألكسيوس الخامس وبطريرك القسطنطينية وكبار رجال الإمبراطورية نحو آسيا الصغرى والبلقان، تاركين الأهالي للقتل وانتهاك الأعراض من الجنود الصليبيين، وتعرضت القسطنطينية للنهب عدة أيام متتالية حسب روايات

المؤرخين، ووقع الاختيار على **بلدوين كونت الفلاندرز** ليكون إمبراطورا على القسطنطينية، وتم تتويجه تحت اسم بلدوين الأول، بينما تم تعيين **توماس مارسيني** من البندقية ليكون أول بطريرك كاثوليكي على كنيسة القسطنطينية، وأقام البطريرك توماس القداش في كنيسة أيا صوفيا باللغة اللاتينية طبقا للعقيدة الكاثوليكية، وقام بتتويج الإمبراطور في مايو 1204م، بين حسرة البيزنطيين على مدينتهم وعقيدتهم الأورثوذكسية، وبدأ يتوافد للإقامة بالقسطنطينية أعداد كبيرة من الصليبيين من بلاد الشام، بالإضافة لعدد آخر من الوافدين من الغرب الأوروبي، أما البيزنطيين، فبدأ في الخروج من القسطنطينية واللجوء للمدن الكبرى التي لم تسقط في يد اللاتين.

وعلى أثر سقوط القسطنطينية، تكونت ثلاث امبراطوريات في أماكن أخرى من الإمبراطورية، كل منها ترى أنها الإمبراطورية البيزنطية في المنفى إلى أن تعود القسطنطينية:

1. امبراطورية طرابيزون:

وقامت في الجنوب الشرقي للبحر الأسود، وأسسها أسرة الإمبراطور السابق أندرونيكوس كومنين، واستمرت هذه الدولة حتى القرن الخامس عشر حتى سقطت في يد الأتراك العثمانيين عام 1461م.

2. امبراطورية إبيروس:

وكونها ميخائيل أنجيلوس في شمال غرب اليونان، وكان ألكسيوس الثالث قد لجأ للعيش ببلاد اليونان بعد هزيمته على يد قوات الحملة الرابعة، فأجبره ميخائيل أحد أقارب الأسرة على تبنيه واتخاذها وريثا للعرش، حتى يضيف على عرشه صفة الشرعية، وقام بتتويج نفسه امبراطور، ودخل في علاقات طيبة مع الدول المجاورة، ورغم اتخاذه لقب الإمبراطور، إلا أنه كون دولة مستقلة عن سياسة الإمبراطورية البيزنطية، ولم يسع لاستعادة القسطنطينية.

3. امبراطورية نيقية:

والتي أسسها تيودور لاسكارس بعد مقابله للإمبراطور الهارب ألكسيوس الخامس، في مدينة نيقية على الضفة الآسيوية للبوسفور، وتقابل القسطنطينية مباشرة، وتم تتويجه على يد البطريرك امبراطورا، وأختلفت هذه الإمبراطورية عن السابقتين، بأنها حملت راية الجهاد ضد الصليبيين الذين احتلوا القسطنطينية، حتى تمكن الإمبراطور ميخائيل باليولوجوس من الانتصار على اللاتين واستعادة القسطنطينية عام 1261م.

المحاضرة الأخيرة أعزائي طلاب الفرقة الثانية، يليها محاضرة للإجابة عن استفساراتكم

اتمنى لكم التفوق والتفوق